إنباء الغمر بأنباء العمر

لشيخ الإسلام

الحافظ ابن حجر العسقلاني

٧٧٣ - ٨٥٢ هـ

من هذا المكان ومن الذى فوق الجبهة أيضا . وهدم الأبنية والحوانيت المستجدة هناك .

وفيها شكى الحاج من أمير الركب الدمشقى لنائب الشام فرسم [١] عليه ، فدخل الحمام فجُب ذكره وأنثياه بالموسى فحُمل مغشيا عليه ، فلما رآه النائب أمر بإطلاقه إلى منزله ، فبقى مدة متمرضا ثم أفاق وعاش . وهو ابن آقجبا [٢] .

وفى ليلة الرابع عشر من شهر ربيع الأول خَسف القمر واستمر إلى التسبيح .

* * *

وفى هذه السنة مَلَك اللنك – واسمه تيمور – بفتح المثناة وسكون التحتانية وضم الميم وسكون الواو بعدها راء – ومعناه بالعربية حديد – بن ترغاى بن ألغاى المغلى وأصله من كَشّ [٣] – مدينة مشهورة مما وراء النهر – بينها وبين سمرقند يوم واحد ، ويقال إن أمه أوجدته من ذرّية جنكزخان ، ومولده – على [٤] ما كان يذكر – فى سنة ثمانٍ وعشرين وسبعمائة .

وكان أبوه من الفلاحين ، ونشأ [تيمور] هذا [٥] خاملا إلّا أنه كان قوى القلب شديد البطش ، ذكيًّا فطنا مطبوعًا على الشر ، ولما بلغ أشدّه وترعرع [٦] صار يتحرّم ، فسرق مرة غنمًا ، فرماه راعيها بسهم فأصاب [٧] رجله فعرج منه : فمن حينئذ قيل له : اللنك .

ثم انضمت إليه طائفة فصار يقطع الطريق .

ويقال إنه كان ببلدهم عابد يقال له شمس الدين الفاخورى ، ولأهله [٨] فيه اعتقاد زائد ، فقصده اللنك فزاره وأهدى له ماعزًا وقعد بين يديه وسأله أن يدعو له بأمورٍ يتمنّاها ، فدعى له بأن تُقضى حاجته ، فكان لا يتوجه إلى جهة فيرجع خائبًا ، وكان يلهج بأنه سيملك البلاد ويبيد العباد .

---

(١) الترسيم فى الأصل أمر يصدر من صاحب السلطة بوضع شخص معين موضع المراقبة تمهيدا لانزال العقاب به .

(٢) ورد هذا الاسم بصور مختلفة فى المراجع التى رجعنا إليها ، فهو فى إعلام ابن قاضى شهبة ، ورقة ٢٠٩ ا « أنجابا » ، وفى نسخته المخطوطة بالمتحف البريطانى بلندن « أقجاه » ، وفى ك « أفجا » ، وفى ز «أقحبا» ؛ والرسم الوارد بالمتن وفق ماورد فى المنهل الصافى ١/٢٣٩ حيث نرجم لشخص يدعى « أقجبا بن عبد الله الحموى » وإن لم يكن فى ترجمته ما يدل على أنه هو المقصود فى الخبر أعلاه .

(٣) كش قرية على بعد ثلاثة فراسخ من جرجان على الجبل ، والضبط من ياقوت : المعجم ٤/٢٦٤ ومراصد الاطلاع ٣ / ١١٦٧ ، انظر أيضا لسترانج : بلدان الخلافة الشرقية ، ص ٥١٢ ، وابن عرب شاه : عجائب المقدور ، ص ٤ – ٥ .

(٤) عبارة « على ما كان يذكر » غير واردة فى ظ .

(٥) ساقطة من ز .

(٦) ساقطة من ظ .

(٧) « فأصابت » فى ز .

(٨) « لأهلها » فى ز ، هـ ، وراجع عن الفاخورى : عجائب المقدور ، ٤ .

وكان قد اشتهر بمعرفة الخيل فطلبه صاحب خيل السلطان بسمرقند ، فقرره فى خدمته فحظى عنده ، واتفق أنه مات عن قرب [١] ، فقرّره السلطان مكانه – وكان اسمه حسين من ذرية جنكزخان – وكانت هراة [٢] وغيرها من بلاد المشرق فى مُلكه ، فاستمر اللنك فى خدمته إلى أن بدا منه إجرام على ما [٣] ألفه من تطبعه بالشر ، فلما أحس باطلاع السلطان منه على ذلك خشى على نفسه فهرب ، وانضم إليه جمع وعاد إلى قطع الطريق ، فاهتمّ السلطان بأمره . وجهز إليه جيشا فظفروا به ، فلما أحضروه استوهبه بعضُ أقارب السلطان فاستتابه وأقرّه فى خدمته رغبةً فى شهامته ، فاستمر إلى أن خرج خارج بسجستان [٤] – وكان ينوب فيها – ، فجهز إليه السلطان عسكرا رأسهم اللنك ، فأوقعوا بذلك النائب ، واستولى اللنك منه على مال كثير ، فقسمه بين العسكر الذين صُحْبَته واستغواهم فى الاستبداد بذلك البلد وما حوله ، فأطاعوه وعصوا على السلطان ، فاتفق فى تلك الأيام موت السلطان – واسمه حسين – وقام [٥] بعده ولده غياث الدين فى المملكة ، فجهز إلى اللنك عسكرا كثيفًا فلم يكن له بهم طاقة ، ففر منهم إلى أن اضطروه إلى نهر جيحون [٦] ، فترجّل عن فرسه وأخذ معرفتها بيده وولج النهر سابحًا إلى أن قطعه ونجا إلى البر الآخر ، فتبعه جماعة من أصحابه على ما فعل وانضموا إليه ، وتبعهم جمعٌ كانوا على طريقته الأولى فالتفّوا عليه ، وقصدوا نخشب [٧] – وهى مدينة حصينة – فطرقوها بغتة ، فقتل أميرها واستولى اللنك على قلعتها واتخذها حصنًا له يلجأ إليه ، ثم توجه إلى بلخشان [٨] وبها أميران من جهة السلطان ، وكانا قريبىْ العهد بغرامة ألزمهما

(١) « قريب » فى ز.

(٢) هى من أمهات مدن فارس فى خراسان، وقد صورها الشعر العربى بما يدل على خصب أرضها، انظر ياقوت: المعجم ٣٩٦/٥ ومراصدالاطلاع، ١٤٥٥/٣ ، وانظر أيضا لى سترانج : بلدان الخلافة الشرقية الفهرست البلدانى .

(٣) عبارة « ما . . . . خشى على » فى السطر التالى غير واردة فى ز ومن هنا حتى « خشى » فى السطر التالى ساقط من ه .

(٤) عرفها ياقوت : المعجم ٣ . ١٩ ومراصد الاطلاع ٦٩٤/٢ بأنها ناحية كبيرة وولاية واسعة ومدينتها زرنج وبينها وبين هراة عشرة أيام وتقع جنوبها ، وأرضها كلها رملة سبخة .

(٥) « وأقام ولده » فى ز .

(٦) هو فى وادى خراسان ، وهذا النهر مؤلف من عدة أنهار تتجمع فيطلق عليها هذا الاسم ، ويمر بعدة بلاد حتى يصل إلى خوارزم ثم يصب فى بحيرتها ، انظر ياقوت المعجم ١٩٦/٢ ومراصد الاطلاع ٣٦٥/١ ، ولسترانج: بلدان الخلافة الشرقية ، الفهرست العمرانى .

(٧) من مدن ما وراء النهر بين جيحون وسمرقند وليست على طريق بخارى ، وبينها وبين سمرقند ثلاث مراحل، انظر ياقوت : المعجم ٢٧٦/٥ مراصد الاطلاع ١٣٦٣/٣ ولى سترانج : شرحه ، ص ٥١٣ — ٥١٤ .

(٨) فى ظ « بلخشتان » وفى العزاوى : العراق بين احتلالين ١ / ١٢٤ « بدخشتان » راجع فهرست الأعلام فيه ص ٣٦٢ ، وهى بذخشان فى لى سترانج : بلدان الخلافة الشرقية ، ص ٤٧٩ — ٤٨٠ ، كذلك مراصد الاطلاع ١ / ١٧٢ وقال إن العامة تسميها بلخشان ، وربما قيل فيها أيضا « بذخش » انظر أيضاً ياقوت المعجم : ١٣٠/١ .

بها السلطان لجناية صدرتْ منهما ، فكانا حاقدين عليه . فانضما إلى اللنك فكثر جمعه .

واتفق فى تلك الأيام خروج طائفة من أهل(١) المغل على قمرخان(٢) صاحب هراة ، فجمع(٣) لهم والتقوا فهزموه ، فبلغ ذلك اللنك فسار إليهم وصاروا على كلمة واحدة ، فتوجه صاحب هراة إلى بلخ(٤) ؛ وتوجه اللنك بمن معه إلى سمرقند فنازلها ، فصالحه النائب بها — واسمه على شير(٥) — على أن تكون المملكة بينهما نصفين ، فأقرّه بسمرقند وتوجه إلى بلخ فتحصن السلطان منه ، فحاصره إلى أن نزل إليه بالأمان فقبض عليه وتسلّم البلد ورجع إلى سمرقند فدخلها أمنا وذلك فى أوائل هذه السنة : سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة ، فأقام رجلًا من ذرية جنكزخان يقال له «سرغتمش»(٦) وكانت السلطنة يومئذ قد انتهت إلى طقتمش خان بالدّشت(٧) وتركستان ، فبلغه ما اتفق لسلطان هراة فجمع العساكرَ وقصد اللنكَ بسمرقند ، فالتقوا بين سمرقند وخُجُندة(٨) فكانت الكسرة أولًا على اللنك ثم عادت على طقتمش خان فانتصر اللنك(٩) ، ويقال إنه كان فى عسكره عابد يقال له « بركة » ، فلما رأى اللنكُ الهزيمة تمسّك به فصاح على عسكر(١٠) طقتمش خان فانهزموا ؛ ويحتمل أن يكون هذا من وضع(١١) بعض من يتعصب للّنك ، ويحتمل الصحة ليقضى الأمر المقدور و(إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْمًا)(١٢)

---

(١) ساقطة من ز .

(٢) فى ز « تمرخان » .

(٣) عبارة « فجمع .... صاحب هراة » ساقطة من ز .

(٤) بلخ من أجل مدن خراسان ، كما فى ياقوت : المعجم ١/٤٧٩ و مراصد الاطلاع ١/٢١٧ .وقد ذكر لى سترانج : بلدان الخلافة الشرقية ص ٤٦٢ أنها تعرف بأم البلاد ثم ذكر ما قاله اليعقوبى عنها ، وتعرض لتاريخها بالتفصيل بناء على ما ورد فى المصادر العربية والمراجع الغربية ، فانظرها هناك .

(٥) فى ز « أسير » وقد دأبت هذه النسخة على رسمه بهذه الصورة كلما ورد اسمه .

(٦) فى ل « صرقتمش » وفى هـ « شير عثمان » .

(٧) الدشت بالفتح ثم السكون قرية من قرى أصبهان ، وتطلق أيضا على بليدة فى وسط الجبال بين إربل وتبريز ، راجع مراصد الاطلاع ٢/٥٢٧ .

(٨) الضبط من ياقوت المعجم ٢/٤٠٦ ومراصد الاطلاع ١/٤٥٣ ، وضبطها ياقوت ٢/٣٤٧ بفتح الجيم وهى بلدة مشهورة فيما وراء النهر على شاطىء سيحون وهى أول مدن فرغانة من الغرب ، انظر لسترانج : شرحه ، ص ٥٢٢ — ٥٢٣ .

(٩) ذهب العزاوى فى العراق بين احتلالين ١ / ١٢٥ ، إلى تخطئة ابن حجر فى جعله انتصار تيمورلنك فى هذه السنة .

(١٠) فى ظ « عسكره » .

(١١) فى ز « رجيع » .

(١٢) سورة آل عمران ، آية ١٧٨

ولما تمت الكسرة على طقتمش خان دخل اللنك خجندة ففر أميرها[١] وأمّر فيها بعض جنده واستولى على بقية البلاد التى لم تكن دخلت فى طاعته رهبةً ورغبة .

ثم دخل سمرقند فأول شئ فعله أن غدر بعلى شير صاحبه الذى أعانه على مستنيبه وقسّم البلدَ بينه وبينه ولّى عاقبة غدره فقتله غيلة ، ثم أوقع بمن كان فى سمرقند[٢] من الزعر[٣] وكانوا عددًا كبيرًا قد أسعروا البلاد ، وكان اللنك أعلم بأمرهم من غيره لأنه كان يرافقهم كثيرًا ؛ وكان إيقاعه بهم بالتدريج بطريق المكر والخديعة والحيلة إلى أن استأصلهم وكفى أهلَ البلاد شرَّهم .

ثم لما استقرت قدمه فى المملكة خطب بنت ملك المغل - وهو فرخان - فزوّجها له ، وزادوا فى اسمه « كوركان » ، فلذلك كان يُكتب عنه « تيمور كوركان » . ومعناه : « الصهر » .

ثم توجّه بعساكره إلى خوارزم وجرجان فصالحوه على مال . ثم قصد[٤] هراة فنزل إليه ولد ملكها غياث الدين بالأمان واستولى عليها واستصحب ملكها معه إلى سمرقند فسجنه ، فاستمر فى سجنه إلى أن مات .

ثم قصد سجستان فنازلهم فتحصنوا منه مدة . ثم طلبوا منه الأمان فأمّنهم على شريطة أن يمدوه مما عندهم من السلاح ، فاستكثروا له من ذلك ليرضوه ؛ وصار يستزيدهم فبلغوا الجهد فى التقرب إليه بما قدروا عليه منه ، فلما ظن أن غالب سلاحهم صار عنده ، وأن غالبهم صار بغير سلاح بذل فيهم السيف وخرّب المدينة حتى لم يبقَ بها - بعد أن رحل عنها - مَن يقوم بهم الجمعة .

ولما استولى على هذه الممالك - مع سعته وشدة فتكه بأهلها - توارد أمراءُ النواحى على الدخول فى طاعته والوفادة عليه ، ومنهم خُجا على بن مؤيد بطوس ، وأمير محمد بناورد ، وأمير حسين بَسْرخَس[٥] ، فأقرّهم نُوابا فى ممالكهم ، وكذا جميع من بذل له الطاعة ابتداءً ، ومن راسله فعصى عليه يتعذّر أن يعفو عنه إذا قدر عليه .

وكان من جملة مَن راسل شاه شجاع صاحب شيراز وعراق العجم فبذل له الطاعة وسأله

---

(١) فى ل « تقرر أمورها » وفى ز ، هـ « ففر أميرها» وهى أيضا كذلك فى الفقرة الأخيرة من كتاب العزاوى: ١٢٥/١ .

(٢) فى ز « بسمرقند » .

(٣) الزعر هم جماعة العامة ، وقد يطلق أحيانا على السوقة وقطاع الطرق ومن لا عمل لهم .

(٤) فى ز « قصدوا » .

(٥) الضبط من ياقوت : المعجم ٢٠٨/٢ ومراصد الاطلاع ٧٠٥/٢ حيث عرفها بأنها مدينة قديمة من نواحى خراسان بين نيسابور ومرو .

المصاهرة ، فزوج ابنته بابن اللنك وهاداه وهادنه واستمر على ذلك . ويقال إنه كان يدعو الله ويتضرع إليه ألاّ يسلّط اللنك عليه ، فاتفق أنه مات حتف أنفه قبل أن يتوجه اللنك إلى شيراز ، وسيأتى ذلك فى ترجمته سنة سبع وسبعين[1] وسبعمائة . وإنما جمعْتُ هذه الأخبار مع أنها لم تكن فى سَنة واحدة لتسهل معرفتها على مَن أراد أن يعرف أولية اللنك .

وممن نازله اللنك فى هذه السنة حسين صوفى صاحب خوارزم ، ومات فاستقر ولده يوسف مكانه ، واستولى اللنك على خوارزم فخرّبها كدأبه فى غيرها من البلاد[2] .

* * *

ذكر من مات فى سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة من الأعيان

١ ـ أحمد بن إسماعيل بن عمر بن أبى عمرو[3] الصالحى ، شهاب الدين ، المعروف بابن النجم ، ولد سنة اثنتين وثمانين[4] وستمائة ، وأُحضر على الفخر على «آمالى» ابن سمعون وغيرها ، وعلى التقى الواسطى[5] «الأربعين للحاكم» وغير ذلك . وحدث . سمع منه القدماء وجماعةٌ من أكابر رفقتنا وأصاغر شيوخنا ، ومات فى ثالث جمادى الآخرة ، وهو ممن أجاز عاما لكن لم أدخل فى عموم إجازته .

٢ ـ أحمد بن بلبان بن عبد الله ، شهاب الدين ، الدمشقى المالكى الفقيه المفتى كاتب الحكم . مات فى صفر وخلّف مالاً كثيرًا .

٣ ـ أحمد بن على[6] بن عبد الكافى بن يحيى بن تمام أبو حامد ، بهاء الدين السبكى ،

(١) فى ظ «ثمانين» .

(٢) بعد أن فرغ ابن حجر من إيراد هذه الأخبار فى مسودته ظ كتب مايلى «يتلوه ذكر من مات فى سنة ثلاث وسبعين من الأعيان» .

(٣) فى ز «عمر» ، هذا وقد نعته ابن العماد الحنبلى فى الشذرات ٦/٢٢٦ «بالأصيل المسند» وفى نسخة ك «أحمد بن اسماعيل بن أحمد» وفى هامش هـ «ابن النجم محدث» .

(٤) فى ل ، ز ، ك ، هـ «وثلاثين» ، راجع الدرر الكامنة ١/٢٩٠ وحاشيتها رقم ٥ ، وابن قاضى شهبة : الاعلام ، ورقة ١٣١ .

(٥) راجع ابن حجر : الدرر الكامنة ٣/٨٢ ، ابن العماد : شذرات الذهب ٦/١٠٥ .

(٦) انفردت نسخة ل باضافة كلمة «ابن مقرى» وهى غير واردة فى النسخ الأخرى ، كذلك خلت منها تراجمه الواردة فى الدرر الكامنة ١/٢٤٤ ، وتاريخ البدر للعينى ، ورقة ٨٠ ب ، والنجوم الزاهرة ٥/٢٧١ ، وشذرات الذهب ٦/٢٢٦ ، كذلك لم ترد فى سلسلة نسب بنت السبكى فى ترجمة ست الخطباء بنت التقى فى الدرر الكامنة ٢/١٧٨٠ ، لكن وردت كلمة «موسى» فى ترجمة السبكى فى ابن قاضى شهبة : الاعلام ، ورقة ٢٠٩ ا . راجع أيضا ترجمة السبكى (مخطوطة بدار الكتب المصرية) .